# أنوار التطهير الأكمل

بقلم: الدكتور أحمد أديب أحمد

في يَومِ الْمُبَـاهَلَةِ نَزَلَ قولُهُ تعالى: (فَمَنْ حَآجَّكَ فِيهِ مِن بَعْدِ مَا جَاءكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْاْ نَدْعُ أَبْنَاءنَا وَأَبْنَاءكُمْ وَنِسَاءنَا وَنِسَاءكُمْ وَأَنفُسَنَا وأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَةَ اللّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ).

مِمَّا جَاءَ فِي أخبَارِ آيةِ الْمُبَاهَلَةِ هذهِ، أنَّ جَمْعًا مِنْ نَصَارَى نَجْرَانَ جَاؤوا لِيُحَاجُّوا سيِّدنا النَّبيَّ محمَّد (ص) في سـيِّدنا النَّبيِّ عيسى الْمَسيحِ (ع)، فَأتَوا رَسُولَ اللّهِ وَقَدْ غَدَا مُحْتَضِنًا سيِّدِنا الحُسَينَ، آخِذًا بـــيَدِ سيِّدِنا الحَسَنِ، وَسيِّدتُنا فَاطِمَةُ تَمْشِي خَلْفَهُ، وَالإمامُ عَلِيٌّ خَلْفَها، وَسيِّدُنا النَّبيُّ (ص) يقولُ: (إذَا أنَا دَعَوْتُ فَأَمِّنُوا). قالَ أُسْقُفُهُم: يا مَعْشَرَ النَّصَارى! إنِّي لَأَرَى وُجُوهًا لَوْ سَأَلُوا اللّهَ تَعَالى أنْ يُزِيْلَ جَبَلاً مِن مَكَانِهِ لَأَزَالَهُ، فَلا تُبَاهِلُوا فَتَهْلَكُوا. فَأذْعَنُوا لِرَسُولِ اللّهِ (ص) وَبَذَلُوا لَهُ الجِزْيَةَ.

وَقَدْ وردَ عن سيِّدنا رسول الله محمَّد (ص) أنَّهُ قالَ: (وَالَّذِي نَفْسِي بـــيَدِهِ لَوْ بَاهَلُوا لَمُسِخُوا قِرَدَةً وَخَنَازِيرَ، وَلَاضْطَرَمَ عَلَيهِمُ الوَادِي نَارًا، وَلَاسْتَأْصَلَ اللّهُ نَجْرَانَ وَأَهْلَهُ).

وَقَدْ جَاءَ فِي تَفسيرِ آيةِ الْمُبَاهَلَةِ عن سيِّدنا جَابرَ الجعفيِّ (ع) قوله: (أَنْفُسَنَا رَسُولُ اللّهِ وعَلِيٌّ، وأَبْنَاءَنَا الحَسَنُ والحُسَينُ، وَنِسَاءَنا فَاطِمَةُ).

لابدَّ من الإشارَةِ إلى أنَّ القُرآنَ الكريمَ أَكَّدَ في هَذِهِ الآيَةِ عَلَى تَحديدِ أَهْلِ البَيْتِ، الَّذينَ وَصَفَهُم اللّهُ بالطَّهَارَةِ لأنَّهُمْ جَمَعُوا الطَّهَارَةَ الظَّاهِرَةَ والبَاطِنَةَ، فَأَنْزَلَ اللّهُ ســـبْحَانَهُ وَتَعَالَى فِيهم آيَةَ التَّطْهِيرِ خَاصَّةً: (إنَّمَا يُرِيدُ اللّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا).

فَالطَّهَارَةُ شَـرْطٌ أسَـاسِـيٌّ مِن شـرُوطِ الإيمانِ، بدليلِ قولِهِ تعالى: (لاَّ يَمَسُّهُ إِلاَّ الْمُطَهَّرُونَ). ولِلطَّهَارَةِ ظَاهِرٌ وَبَاطِنٌ، فَظَاهِرُها طَهَارَةُ الجَســـدِ مِنَ النَّجَاســـةِ، وَبَاطِنُها طَهَارَةُ النَّفسِ من الأخْلاقِ الرَّدِيْئَةِ والشَّهَوَاتِ الدَّنِيئَةِ والعَلائِقِ الدُّنيَويَّةِ.

وكان سيِّدنا رسولُ اللّهِ محمَّد (ص) يَمُرُّ ببَابِ سيِّدتِنا فاطمةَ (ع) سِتَّةَ أَشْهُرٍ، فإذا خَرَجَ إلى صَلاةِ الصُّبحِ يَقولُ: (الصَّلاةُ يا أَهْلَ البَيْتِ، إنَّما يريدُ اللّهُ لِيُذهِبَ عنكمُ الرِّجْسَ أهلَ البيتِ وَيُطَهِّرَكُم تطهيرًا)، وَقَدْ جَاءَ أنَّ الرِّجْسَ هُوَ الشَّكُّ والشِّرْكُ أَعَاذَنا اللّهُ مِنَ الشَّكِّ وَالشِّركِ بَعْدَ الهُدَى واليَقِينِ.

لَقَدْ نَزَلَتْ هَذِهِ الآيَةُ فِي أَهْلِ البَيْتِ، لا يُشَارِكُهُمْ فيها أَحَدٌ، لَكِنَّ فِئَةً مِنَ الْمُفَسِّرِينَ يُشَارِكُونَ مَعَهُمْ نساءَ النَّبيِّ ويَخُصُّونَها بهنَّ، لكنَّ الجوابَ عندَ زَيدِ بنِ عَلِيٍّ بنِ الحُسَينِ (ع) بقوله: (إنَّ قومًا جُهَّالاً مِنَ النَّاسِ يَزْعُمُونَ أنَّه إنَّما أرَادَ اللهُ بهَذِهِ الآيةِ أَزْوَاجَ النَّبيِّ، وَقَدْ كَذَبُوا وَأَثِمُوا، فَلَو عَنَى أَزْوَاجَ النَّبيِّ لَقَالَ: لِيُذهِبَ عَنْكُنَّ الرِّجْسَ ويُطَهِّرَكُنَّ تطهيرًا)؛ أيْ لَوْ خَاطَبَ اللهُ بها نِسَاءَ رَسولِ اللهِ (ص) لأَتَى بضَمِيرِ التَّأْنِيثِ، لَكِنَّ اللهَ أَتَى بضَمِيرِ التَّذْكِيرِ، وَخَصَّها بأصْحَابِ الكِسَاءِ، حَيْثُ أَدْخَلَ سيِّدنا رسولُ اللهِ محمَّد (ص) في بَيتِ أمِّ سَلَمَة (ع) تَحْتَ الكساءِ كلاًّ من فاطمةَ والحَسَنِ والحُسَينِ، وَخَلْفَهُمُ الإمامُ عَلِيٌّ (م)، ثُمَّ قالَ (ص): (اللَّهُمَّ إنَّ لِكُلِّ نَبِيٍّ أَهْلاً وَثَقَلاً، وَهَؤُلاءِ أَهْلُ بَيتِي وثَقَلِي الَّذينَ وَعَدْتَنِي فِيهم).

وقالَ الإمامُ علي الرِّضا (علينا سلامُهُ): (إنَّ اللهَ أَعْطَى مُحَمَّدًا وَآلَ مُحَمَّدٍ فَضْلاً، فقال تعالى: "سَلَامٌ عَلَى إِلْ يَاسِينَ"؛ يَعني آلَ مُحَمَّدٍ)، لِقَولِ الإمامِ جعفر الصَّادق (علينا سلامُهُ): (ياسينُ مُحَمَّدٌ، وَنَحْنُ إلْ يَاسين).

كَمَا قالَ تَعَالى في كتابهِ العزيز: (إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا)، وَقَدْ سُئِلَ الإمامُ موسى الكَاظِمُ (علينا سلامُهُ): ما مَعْنَى صَلاةِ اللهِ وَصَلاةِ الْمَلائِكَةِ وَصَلاةِ الْمُؤمِنِ؟ فقال: (الصَّلاةُ مِنَ اللهِ رَحْمَةٌ، وَمِنَ الْمَلائِكَةِ تَزْكِيَةٌ، وَمِنَ الْمُؤمِنِ دُعَاءٌ). لَكِنْ: كَيْفَ تَكُونُ الصَّلاةُ؟

جَاءَ صَحَابَةُ سيِّدنا رَسُولِ اللهِ محمَّد (ص) فقالوا: يا رَسولَ اللهِ، عَرَفْنَا كَيْفَ نُسَلِّمُ عَلَيكَ وَلَمْ نَعْرِفْ كَيفَ نُصَلِّي عَلَيكَ. فقال: (قُولُوا: "اللَّهُمَّ صَلِّ على مُحَمَّدٍ وآلِ مُحَمَّدٍ كَمَا صَلَّيْتَ على إبراهيمَ وآلِ إبراهيمَ في العَالَمِينَ إنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ"، وَلا تُصَلُّوا عَلَيَّ الصَّلاةَ البَتْرَاءَ)، قيلَ: وَمَا الصَّلاةُ البَتْرَاءُ يا رَسولَ اللهِ؟ فقال (ص): (أنْ تَقُولُوا: "اللَّهُمَّ صَلِّ على مُحَمَّدٍ"، وَتُمْسِكُوا، بَلْ قُولُوا: "وآلِ مُحَمَّدٍ").

كَمَا وَرَدَ عَنْهُ بهَذَا الخُصُوصِ قوله (ص): (مَا فِي الْمِيزَانِ أَثْقَلُ مِنَ الصَّلاةِ على مُحَمَّدٍ وآلِ مُحَمَّدٍ، وَمَنْ صَلَّى عَلَيَّ وَلَمْ يُصَلِّ عَلَى آلِي لَمْ يَجِدْ رِيْحَ الجَنَّةِ).

وَلا نَنْسَى أنْ نُوردَ مَا وَرَدَ عن أمير المؤمنين الإمام علي (م) في تَفسِيرِ هَذِهِ الآيةِ حَيثُ قالَ: (لِهَذِهِ الآيَةِ ظَاهِرٌ وَبَاطِنٌ، فَالظَّاهِرُ قَولُهُ: "صَلُّوا عَلَيهِ"، وَالبَاطِنُ قَولُهُ: "وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا"؛ أي سَلِّمُوا لِمَنْ وَصَّاهُ وَاسْتَخْلَفَهُ عَلَيكُمْ).

أَلَيْسَ سـيِّدنا رَسـُولُ اللهِ محمَّد (ص) قد قالَ فيهِ: (عَلِيٌّ وَلِيُّ كُلِّ مُؤمِنٍ بَعْدِي)؟ أَلَيْسَ قَدْ قالَ: (إنَّ هذا أخي وَوَصِيِّي وَخَلِيفَتِي مِنْ بَعْدِي فَاسْمَعُوا لَهُ وَأَطِيْعُوهُ)؟ أَلَيْسَ قَدْ قَالَ: (وَصِيِّي عَلِيٌّ)؟ أَلَيْسَ قد قالَ: (عَلِيٌّ يُنْجِزُ عِدَّتِي وَيَقْضـِي دِينِي)؟ أَلَيْسَ قَدْ قالَ: (هَذَا عَلِيٌّ، أَخِي وَوَزِيرِي وَوَارِثِي وَخَلِيفَتِي، إِمَامُكُمْ، فَأَحِبُّوهُ لِحُبِّي وَأَكْرِمُوهُ لِكَرَامَتِي، فإنَّ جِبْرِيلَ أَمَرَنِي أنْ أقولَ لَكُمْ مَا قُلْتُ)؟

اللهمَّ اجْمَعْنَا على وَلايَةِ مُحَمَّدٍ وآلِ مُحَمَّدٍ، وَصـَلِّ على مُحَمَّدٍ وآلِ مُحَمَّدٍ، وَسـَلِّمْ على مُحَمَّدٍ وآلِ مُحَمَّدٍ، وَأَحْيِنا على حُبِّ مُحَمَّدٍ وآلِ مُحَمَّدٍ، وأَمِتْنا على حُبِّ مُحَمَّدٍ وآلِ مُحَمَّدٍ.

*نكتفي لعدم الإطالة والله أعلم*

*الباحث الديني الدكتور أحمد أديب أحمد*